

نفحات القرآن

[260] وهذه الكلمات تُطرح في مواجهة الذين تنقل عنهم (الآية 35 من سورة النحل) تبريراتهم في عبادة الأصنام : (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ...) والقرآن يقول في ردِّهم : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) فقد دعا الأنبياء جميعاً إلى التوحيد في العبادة وعارضوا عبادة أي موجود غير الله . فما هذه الفرية التي تنسبونها إلى الله ؟! وتضيف بأنَّ الناس إنقسموا إلى طائفتين تجاه دعوة الأنبياء (عليهم السلام) ، طائفة إستعدت للهداية وكانت تطلبها فهذاها الله (فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ) ، وطائفة خالفت (وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) ، ثم تأمر الآية : (فسيرُوا في الأرض فانظروا كيفَ كان عاقبةُ المكذِّبينَ) أجل ، انهم وبسبب إنحرافهم عن جادة التوحيد وبسبب الطغاة وقعوا في وحل الفساد والشقاء ، نزل عليهم العذاب الإلهي . والملاحظ أنَّ الآية تنسب الهداية إلى الله عز وجل ، فلولا التوفيق والإمداد الإلهي لما كان لأحد أن يبلغ الهدف بقدرته ، في حين تنسب الضلالة لهم لأنَّها نتيجة أعمالهم . * * * الآية الثانية توافق الآية الأولى بعبارة أخرى وتقول كقضية عامة وخالدة : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فاعْبُدُونِ) . والملفت أنَّ (نوحى) فعل مضارع ويدل على الإستمرار ، أي لنا أوحينا التوحيد في العبادة إلى كلِّ نبي وقد أُمِر جميع الأنبياء بإبلاغ ذلك طيلة دعوتهم . وعليه فإنَّ هذه المسألة إستمرت أصلاً أساسياً في تاريخ الأنبياء (عليهم السلام) . * * *